الباب الأول

فى ذكر فضائلها من الكتاب الكريم وسنة النبى العظيم

فاعلم أن سبب تسمية مصر بمصر ما قاله المسْعُودى [١] فى « مروج الذهب » [٢] أن بنى آدم لما تحاسدوا وبغى عليهم بنو قابيل بن آدم عليه السلام ركب نقراوش الجبار بن مصر [٣] فى نيف وتسعين راكبًا من بنى غرياب بن آدم كلهم جبابرة يطلبون موضعًا من الأرض ليسكنوا فيه فلم يزالوا يمشون حتى وصلوا إلى النيل فأطالوا المشى عليه فلما رأوا سعة هذا البلد أعجبهم وقالوا : هذا بلد زرع ، وعمارة . فأقاموا فيه واستوطنوا به وبنوا فيه الأبنية المحكمة ، والمصانع والأهرامات العجيبة [٤] .

فقال نقراوش : إنى أريد أن أصنع مدينة فى موضع خيمتى فاستحسن من كان معه قوله فقطعوا الصخور من الجبال وأثاروا معادن الرصاص وبنوا دورًا وزرعوا وعمروا أرض مصر . ثم أمرهم ببناء المدائن والقرى وأسكن كل ناحية من أرض مصر ، ثم حفروا النيل حتى أخرجوا ماءه ولم يكن قبل ذلك معتدل الجرى

---

(١) المسعودى صاحب « مروج الذهب » وغيره من التواريخ : أبو الحسن على بن الحسين بن على ، من ذرية ابن مسعود . عداوه فى البغاددة ،ونزل مصر مدة ، وكان إخباريا ،صاحب ملح وغرائب وعجائب وفنون ، وكان معتزليًا ،أخذ عن أبى خليفة الجمحى ، ونفطويه ، وعدة . مات فى جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وثلاثمائة . سير أعلام النبلاء ١٢ / ١٨١ ، العبر ٢/ ٢٦٩ « الفهرست » (١/ ١٥٤) ، « طبقات الشافعية » (٢/ ٣٠٧) ، « فوات الوفيات » (٢/ ٤٥) وغيرها .

(٢) وقال المسعودى أيضـ : أول من نزل هذه الأرض مصر ابن بيصر بن حام بن نوح . « مروج الذهب » (١/ ٣٦٧) .

(٣) فى الأصل : مصريم والصواب ما أثبتناه ويقال مصرام ، كما فى « النجوم الزاهرة » (١/ ٤٨).

(٤) قال حسن بن حسين بن أحمد الطولونى : قال ابن عباس رضى الله عنهما : دعا نوح عليه السلام لابن ابنه بيصر بن حام وهو أبو مصر وبه سميت .... » « النزهة السنية فى أخبار الخلفاء والملوك المصرية » (ق/ ٤٧) .

وإنما كان ينبطح على وجه الأرض ويتفرق عنها فهندسوه وساقوا منه أنهارًا كثيرة إلى مدنهم التى عمروها فهذا الذى صححه علماء التاريخ فلما حضرت مصر الوفاة أمر أولاده أن يحفروا له فى الأرض سربًا وأن يغرسوه بالمرمر[١] الأبيض ويجعلوا فيه جسده ويدفعوا معه جميع ما فى خزائنه من الذهب والجوهر ويجعلوا عليه أسماء الله تعالى المانعة من أخذه فحفروا له سربًا طوله مائة وخمسون ذراعًا وجعلوا فيه مجلسًا مصفحًا بصفائح الذهب له أربعة أبواب على كل باب منها تمثال من الذهب مرصع بالجوهر وعليه مانع وهو جالس على كرسى من ذهب وجعلوا فى صدر كل تمثال آيات مانعة وجعلوا جسد مصر المذكور فى جوف مرمر مصفح بالذهب .

وكانت وفاة مصر بعد الطوفان بسبع مائة سنة وجعلوا معه فى ذلك المجلس ألف قطعة من الزبرجد [٢] المخروط، وألف تمثال من الجوهر النفيس وألف برنية[٣] مملوءة من الدر الفاخر والعقاقير والطلسمات العجيبة ، وشبابيك الذهب ، وسقفوا ذلك بالضخور وهالوا فوقها الرمال بين جبلين .

ذكر فضائلها من الكتاب العزيز

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾ [٤] هى مصر [٥] .

---

(١) المرمر : الرخام قال الأعشى :

كدمية صور محرابها بمذهب ذى مرمر مائر

وصخر رخامى جيرى متحول يتركب من بلورات الكلسيت يستعمل للزينة فى البناء ، ولصنع التماثيل ونحوها . « المعجم الوسيط » (ص: ٨٦٥)

(٢) الزبرجد : حجر كريم يشبه الزمرد ، وهو ذو ألوان كثيرة أشهرها الأخضر المصرى والأصفر القبرصى « المعجم الأوسط » (ص:٣٨٨) .

(٣) البرنية: واحدة البرنى، إناء واسع الفم من خزف أو زجاج ثخين ، والديك الصغير حين يدرك. الجمع : برانى . « المعجم الوسيط » (ص:٥٢) .

(٤) سورة يونس ـ الآية (٩٣) .

(٥) قال ابن أبى حاتم :حدثنا أبى ، ثنا سهل بن عثمان ، ثنا مروان الفزارى عن جويبر ، عن الضحاك ، قوله : ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ قال : منازل صدق مصر والشام « تفسير ابن أبى حاتم » (٦/ ١٩٨٥) . =

وقال تعالى ـ مخبرًا عن فرعون : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (٢) .

قال(٣) : سعيد بن المسيب(٤) وابن عباس(٥) ووهب بن منبه (٦) وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم (٧) رضى الله عنهم : هى « مصر » (٨) .

= وقال الطولونى : وفى سورة يونس فى أربعة مواضع : الأولى قوله تعالى : ﴿ قالُوا ﴾ يعنى : فرعون وقومه لموسى عليه السلام ﴿ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ﴾ [يونس:٧٨] يعنى أرض مصر .

الثانية : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾ [يونس:٨٧] أى اتخذا .

الثالثة : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [يونس:٨٨] وكانت زينته وأمواله بمصر .

الرابعة : وهى الآية المذكورة آنفا . « انظر » النزهة السنية (ق / ٣٩) .

(١) سورة الزخرف ـ الآية (٥١) .

(٢) سورة المؤمنون ـ الآية (٥٠) .

(٣) فى الأصل : وقوله ، والصواب ما أثبتناه .

(٤) هو سعيد بن المسيب بن حَزْن بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة ، الإمام العلم ، أبو محمد القرشى المخزومى عالم أهل المدينة ، وسيد التابعين فى زمانه ، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمـــر رضى الله عنه ، وقيـل : لأربع مضين منها بالمدينة ، وتوفى فى سنة (٨٩ هـ) فى سنة وفاته خلاف .انظر « سير أعلام النبلاء » (٥/ ٢١٥) وتهذيب الكمال (٧/ ٢٩٧) والكاشف (١/ ٢٩٦) .

(٥) هو عبد الله بن عباس ، حبر الأمة ، وفقيه العصر ، وإمام التفسير ، أبو العباس بن عبد الله ، ابن عم رسول الله ﷺ ، مولده بشعب بنى هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين ،صحب النبى ﷺ ثلاثين شهرا ، وحدث عنه بجملة صالحة ،وتوفى سنة (٦٨ هـ) . انظر « سير أعلام النبلاء » (٤/ ٤٣٩) .

(٦) هو وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذى كبار ، وهو الأسوار الإمام ، العلامة الإخبارى القصصى ، أبو عبد الله بن الأنبارى اليمانى الصنعانى ، أخو همام بن منبه ، ومعقل بن منبه ، وغيلان بن منبه ، مولـده فى زمن عثمان سنة أربع وثلاثين ، ورحل وحج ، وتوفى سنة (١١٠هـ). انظر « سير أعلام النبلاء » (٥/ ٤٤٣، ٤٤٤) .

(٧) هو عبد الرحمـن بن زيـد بن أسلم العمرى المدنى ، أخو أسامة وعبد الله وفيهم لين ، وكان عبد الرحمن صاحب قرآن وتفسير ، جمع تفسيرا فى مجلد ، وكتابا فى « الناسخ والمنسوخ » وحدث عن أبيه، وابن المنكدر توفى سنة (١٨٢هـ) انظر «سير أعلام النبلاء» (٧ / ٥٨١، ٥٨٢)

(٨) وهو قول كثير من أهل التفسير قديما وحديثا .

obeikan.com

وقوله تعالى : ﴿ فأخرجناهم مِن جنَّاتٍ وعُيُونٍ (٥٧) وكُنُوزٍ ومَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ (١) . هى « مصر » .

وقوله تعالى : ﴿ كمثلِ جنَّةٍ (٢) برَبْوَةٍ ﴾ (٣) والربوة لا تكون إلا بمصر (٤) .

وقوله تعالى : ﴿ كم تركُوا من جنَّاتٍ وعُيُونٍ (٢٥) وزُرُوعٍ ومَقَامٍ كريمٍ (٢٦) ونعمةٍ كانُوا فيها فاكهين (٢٧) كذلك وأورثناها قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ (٥) يعنى قوم فرعون وأن بنى إسرائيل ورثوا مصر (٦) .

وقوله تعالى : ﴿ اهْبِطُوا مصرًا فإنَّ لكُم مَّا سألتُمْ ﴾ (٧) .

وقوله تعالى : ﴿ ونُريدُ أن نَّمُنَّ عَلى الَّذينَ استُضْعِفُوا فِي الأرْضِ ونجعلهُم أئمةً ونجعلهُمُ الوارِثِين (٥) ونُمكِّن لهُمْ فِي الأرْضِ ونُرِيَ فِرْعَوْنَ وهَامَانَ وجُنُودَهُمَا منهُم مَّا كَانُوا

---

(١) سورة الشعراء ـ الآية (٥٧) .

(٢) فى الأصل « كجنة » والصواب ما أثبتناه .

(٣) سورة البقرة ـ الآية (٢٦٥) .

(٤) روى ابن أبى حاتم عن مجاهد قوله : ﴿ كَمَثَلِ جنَّةٍ بِرَبْوَةٍ ﴾ قال : الربوة : المكان الظاهر المستوى . وروى عن سعيد بن جبير قال : الربوة : النشز من الأرض . قال : وروى عن الحسن، وقتادة ، والربيع بن أنس ، وعطاء الخراسانى ،ومقاتل بن حيان ، نحو ذلك . « تفسير ابن أبى حاتم » (٢/ ٥٢٠) .

(٥) سورة الدخان ـ الآيات (٢٥ ـ ٢٨) .

(٦) قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره كم ترك فرعون وقومه من القبط بعد مهلكهم وتغريق الله إياهم من بساتين وأشجار وهى الجنات وعيون ، يعنى ومنابع ما كان ينفجر فى جناتهم وزروع قائمة فى مزارعهم ﴿ ومقامٍ كَرِيمٍ ﴾ يقول وموضع كانوا يقومونه شريف ، ثم اختلف أهل التأويل فى معنى وصف الله ذلك المقام بالكرم فقال بعضهم : وصفه بذلك لشرفه وذلك أنه مقام للملوك والأمراء ، قالوا : وإنما أريد به المنابر . انظر« تفسير الطبرى » (٢٥ / ١٢٣) و « الدر المنثور » (٧ / ٤١١) و« تفسير ابن أبى حاتم » (١٠/ ٣٢٨٨) .

(٧) سورة البقرة الآية (٦١)

روى ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ قال : مصرا من الأمصار ، وروى عن السدى ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، نحوه .

وروى عن أبى العالية قال : يعنى به مصر فرعون .

وروى عن الأعمش قال : هى مصر التى عليها صالح بن علىٍّ ، وكان يومئذ عليها . انظر «تفسير ابن أبى حاتم » (١/ ٢٤١).

يحذَرُونَ ﴾[١] .

وقوله تعالى ـ مخبرًا عن نبيه يوسف عليه الصلاة والسلام : ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ [٢] .

وقوله تعالى ـ مخبرًا عن نبيه موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [٣] قال بعض المفسرين هى أرض مصر [٤] .

وقوله تعالى ـ مخبرًا عن فرعون : ﴿ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ ﴾ [٥] يعنى « مصر » [٦].

وقوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا

---

(١) سورة القصص ـ الآيتان (٥، ٦) .

روى ابن جرير بسنده عن قتادة فى قوله : ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ قال : ونوطئ لهم فى أرض الشام ومصر . نظر « تفسير ابن جرير» (٢٠/٢٨) .

وقال البغوى : الأرض أرض مصر ، وقال فى قوله : ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ : أوطن لهم فى أرض مصر والشام ونجعلها لهم مكانا يستقرون فيه . انظر « تفسير البغوى » (٣/ ٤٣٤) .

(٢) سورة يوسف ـ الآية (٩٩) .

انظر« تفسيرالطبرى » (١٣ / ٦٥ـ، ٦٦) و« الدر المنثور » (٤/ ٥٩٥) و« تفسير أبى مسعود » (٤/ ٣٠٦) و « تفسيرالبغوى » (٢/ ٤٥٠) و « فتح القدير » للشوكانى (٣ /٥٦) و «زاد المسير» (٤/ ٢٨٨)

(٣) سورة المائدة ـ الآية (٢١) .

قال الحافظ ابن كثير : وقال سفيان عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله : ﴿ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ﴾ قال : هى الطور وما حوله ، وكذا قال مجاهد وغير واحد .

وروى سفيان الثورى عن أبى سعد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال : هى أريحا ، وكذا ذكر غير واحد من المفسرين ، وفى هذا نظر لأن أريحا ليست هى المقصودة بالفتح ،ولا كانت فى طريقهم إلى بيت المقدس ، وقد قدموا من بلاد مصر حين أهلك الله عدوهم فرعون اللهم إلا أن يكون المقصود بأريحا أرض بيت المقدس كما قاله السدى فيما رواه ابن جرير عنه لا أن المراد بها هذه البلدة المعروفة فى طرف الطور شرقى بيت المقدس . انظر « تفسير ابن كثير » (٢/ ٣٨) و « تفسير الطبرى » (٦/ ١٤٩) و « الدر المنثور » (٣/ ٤٧) و « تفسير أبى السعود » (٣/ ٢٣) و « تفسير البغوى» (٢/ ٢٤) .

(٥) سورة غافر ـ الآية (٢٩) .

(٦) قال ابن جرير : يعنى أرض مصر . « تفسير الطبرى » (٢٤/ ٥٨) .

كان يصنعُ فرعونُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يعْرِشُون ﴾ (١) يعنى « مصر » (٢).

وقولُه تعالى : ﴿ كذَلِك كِدْنا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دين الْملك إلاَّ أن يشاء اللّه نرفعُ درجاتٍ مَّن نَشاءُ ﴾ (٣) فسمى صاحب مصر الملك (٤).

وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَومكُمَا بمصر بُيُوتا واجعلُوا بُيوتكم قبلة ﴾ (٥).

وقوله تعالى ـ مخبرًا عن فرعون : ﴿ أتذرُ مُوسىٰ وقومهُ ليُفْسدُوا في الأرض ﴾ (٦) يعنى أرض مصر (٧).

---

(١) سورة الأعراف ـ الآية (١٣٧)

(٢) روى ابن جرير بسنده عن الحسن ، وقتادة ، فى قوله : ﴿وأَوْرَثْنا الْقَوْمَ الَّذينَ كانُوا يُستضعفُون مشارق الأرض ومغاربها الّتي باركنا فيها﴾ قالا : هى أرض الشام . قال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية يزعم أن مشارق الأرض ومغاربها نصب على المحل يعنى : ﴿ وأورثنا القوم الذين كانُوا يُستضعفُون مشارق الأَرضِ ومَغَارِبَهَا﴾ وأن قوله : ﴿ وأَوْرَثْنا ﴾ وقع على قوله : ﴿ التي باركنا فيها﴾ وذلك قول لا معنى له لأن بنى إسرائيل لم يكن يستضعفهم أيام فرعون غير فرعون وقومه ولم يكن له سلطان إلا بمصر فغير جائز ، والأمر كذلك أن يقال ﴿ الذين كانُوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربَ ﴾ .

فإن قال قائل : فإن معناه فى مشارق أرض مصر ومغاربها فإن ذلك بعيد من المفهوم فى خطاب مع خروجه عن أقوال أهل التأويل والعلماء بالتفسير . انظر « تفسير ابن جرير » (٩ ٤٣)

(٣) سورة يوسف ـ الآية (٧٦)

(٤) قال ابن جرير : وقوله : ﴿ ما كان ليأخُذ أخاهُ في دينِ الملك إلاَّ أن يشاء اللهُ ﴾ يقول : ما كان يوسف ليأخذ أخاه فى حكم ملك مصر وقصائه وطاعته منهم لأنه لم يكن من حكم ذلك الملك » «تفسير الطبرى » (١٣/ ٢٤) .

(٥) سورة يونس ـ الآية (٨٧) .

انظر « تفسير الطبرى » (١١/ ١٥٣) فقد روى بسنده عن مجاهد فى قوله: ﴿أن تبوءا لقومكما بمصر بُيوتا ﴾ قال : مصر الإسكندرية .

وانظر « الدر المنثور » (٤/ ٣٨٣) و« تفسيرعبد الرزاق » (١/ ٢٠١) و« تفسير الثعالبى » (٢/ ١٩٥) و « تفسير أبى السعود » (٤/ ١٧٠) . و « زاد المسير» (٤/ ٥٤) .

(٦) سورة الأعراف ـ الآية (١٢٧) .

(٧) انظر «تفسيرابن كثير » (٢/ ٢٤٠) و « تفسير الطبرى » (٩/ ٢٤) . و« الدر المنثور » (٣/ ٥١٦) و « تفسير البغوى » (٢/ ١٨٩) و« زاد المسير » (٣/ ٢٩٦) .

وقوله تعالى ـ مخبراً عن نبيه يوسف عليه الصلاة والسلام : ﴿ اجعلني عَلَىٰ خزائن الأرضِ إنّي حفيظٌ عليمٌ ﴾ (١) يعنى « مصر »(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وكذلكَ مكّنّا ليُوسُفَ فِي الأرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشاءُ ﴾ (٣) يعنى مصر (٤)

وقوله تعالى ـ مخبراً عن بنى إسرائيل : ﴿ ربّنَا إنّكَ آتَيْتَ فِرعَوْنَ وملأهُ زينةً وأموالا فِي الحياة الدُّنيا ﴾ (٥) يعنى مصر(٦) .

وقوله تعالى : ﴿ إرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ (٧) قال محمد بن كعب القرظى(٨)يعنى

(١) سورة يوسف ـ الآية (٥٥)

(٢) انظر : « تفسير الطبرى » (١٣/ ٥) .

(٣) سورة يوسف ـ الآية (٥٦) .

(٤) قال ابن جرير : يقول تعالى ذكر : وهكذا وطأنا ليوسف فى الأرض يعنى أرض مصر ﴿ يتبوأ منها حيث يشاء ﴾ يقول : يتخذ من أرض مصر منزلا حيث يشاء بعد الحبس والضيق . وروى نحو ذلك عن السدى . « تفسير الطبرى » (١٣/ ٦) و « الدر المنثور » (٤/ ٥٥٢) و « تفسير الثعالبى » (٢/ ٢٥٨) و « تفسير أبى السعود » (٤/ ٢٨٧) و « تفسير البغوى » (٢/ ٤٣٣) و « تفسير الواحدى » (١/ ٥٥١) و « فتح القدير » (٣/ ٣٥) و « زاد المسير » (٤/ ٢٤٥) .

(٥) سورة يونس ـ الآية (٨٨)

(٦) قال ابن الجوزى : قوله تعالى: ﴿ ربّنا إنّك آتيْت فرْعوْن وملأهُ زِينةً وأمْوالاً ﴾ .
قال ابن عباس : كان لهم من لدن فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن ذهب ، وفضة، وزبرجد ، وياقوت .
انظر « زاد المسير » (٤/ ٥٥) و« تفسير الطبرى » (١١/ ١٥٦) و « الدر المنثور » (٤/ ٣٩٥) و « تفسير الثعالبى » (٢/ ١٩٥) و « تفسير أبى السعود » (٤/ ١٧٢) و« تفسير البغوى » (٢/ ٣٦٥) .

(٧) سورة الفجر ـ الآية (٧) .

(٨) هو محمد بن كعب بن سليم ، الإمام الصادق أبو حمزة ، وقيل : أبو عبد الله القرظى المدنى ، من حلفاء الأوس ، وكان أبوه كعب من سبى بنى قريظة ،سكن الكوفة ، ثم المدينة ،قيل : ولد محمد بن كعب فى حياة النبى ﷺ ولم يصح ذلك ، قال ابن سعد : كان ثقة عالما كثير الحديث ورعا .
وقال البخارى : كان أبوه ممن لم ينبت يوم قريظة ، فترك .
وقال يعقوب بن شيبة : ولد محمد بن كعب فى آخر خلافة على سنة أربعين ولم يسمع من [illegible] ـ سير أعلام النبلاء » (٥/ ٥٤٣) .

إسكندرية [١] .

وقوله تعالى : مخبراً عن موسى عليه الصلاة والسلام قال : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [٢] أى : أرض مِصْر [٣] .

وقوله تعالى : ﴿ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [٤] يعنى : أرض مصر [٥] .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾ [٦] يعنى أرض منف [٧]

---

(١) قال ابن جرير : واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تعالى : ﴿إِرَمَ﴾ فقال بعضهم : هى اسم بلدة ، ثم اختلف الذين قالوا ذلك فى البلدة التى عنيت بذلك فقال بعضهم : عنيت به الإسكندرية . ثم روى ذلك عن القرظى .

وقال آخرون : هى دمشق .

ثم روى الطبرى ذلك بسنده عن : المقبرى .

انظر : « تفسير الطبرى » (٣٠ / ١٧٥) و« تفسير ابن كثير » (٤/ ٥٠٨) ، و« الدر المنثور » (٨/ ٥٠٥) ، و« تفسير الصنعانى » (١/ ٢٠١) و« تفسير الثعالبى » (٤/ ٤١١) و« تفسير أبى السعود » (٩ / ١٥٤) و « تفسير مجاهد » (١/ ٤١٧) ، و« تفسير الواحدى » (١/ ٦٢٥) و«تفسير البغوى » (٤/ ٤٨٢) و« زاد المسير » (٩/ ١١١) .

(٢) سورة الأعراف ـ الآية (١٢٩) .

(٣) انظر« تفسير الطبرى » (٩/ ٢٨) و « الدر المنثور » (٣/ ٦٣٥) وتفسير أبى مسعود » (٣/ ٢٦٢) و« تفسير البغوى » (٢/ ١٩٠) ، و« زاد المسير » (٣/ ٢٩٦) و« تفسير الثعالبى » (٢/ ٧٧) و « تفسير ابن كثير » (٢/ ٢٨٢) .

(٤) سورة غافر ـ الآية (٢٦) .

(٥) قال ابن جرير: فتأويل الكلام إذن إنى أخاف من موسى أن يغير دينكم الذى أنتم عليه أو أن يظهر فى أرضكم أرض مصر عبادة ربه الذى يدعوكم إلى عبادته وذلك كان عنده هو الفساد .

انظر : « تفسيرالطبرى » (٢٤ / ٥٧) و« الدر المنثور » (٧/ ٣٠٥) و« تفسير ابن كثير » (٤/ ٧٧) و « تفسير الثعالبى » (٤/ ٧٧) و« تفسير أبى السعود » (٧/ ٢٧٣) و « زاد المسير » (٧/ ٢١٥) .

(٦) سورة القصص ـ الآية (٢٠) .

(٧) قال ياقوت : منف بالفتح ثم السكون وفاء ، اسم مدينة فرعون مصر ، قال القضاعى : أصلها بلغة القبط مافه فعربت فقيل : منف . قال عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بإسناده : أول من سكن مصر بعد أن أغرق الله تعالى قوم نوح عليه السلام بيصر بن حام بن نوح فسكن منف وهى أول مدينة عمرت بعد الغرق . « معجم البلدان » (٥/ ٢١٣)

وهى من مدن مِصْر [١] .

وقوله تعالى ـ مخبرًا عن يعقوب عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ﴾ [٢] يعنى أرض مصْر [٣].

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [٤] أى مصر [٥] .

وقوله تعالى : ﴿ إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ ﴾ [٦] أى أرض مصر [٧] .

عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقد ذكر مصر فقال : سميت بالأرض كلها فى عشرة مواضع من القرآن .

وقوله تعالى ـ إخبارًا عن فرعون : ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ [٨] المراد بالمدائن مصر [٩] .

---

(١) قال الطبرى : وقوله : ﴿ مَنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ ﴾ يقول من آخر مدينة فرعون . وبه قال ابن جريج ، انظر « تفسير الطبرى » (٢٠/ ٥١) و « الدر المنثور» (٦/ ٤٠١) و « زاد المسير » (٦/ ٢٠٩) و«تفسير النسفى » (٣/ ٢٣١) و« تفسير البغوى » (٣/ ٤٤٠) و«تفسير أبى السعود » (٧/ ٧) و« فتح القدير » (٤/ ١٦٥) و « تفسير ابن كثير » (٣/ ٤٠٢) .

(٢) سورة يوسف ـ الآية (٨٠) .

(٣) روى ابن جرير بسنده عن السدى ، قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ ﴾ فى العلم ﴿ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ ﴾ الآية .

قال : فأقام روبيل بمصر ، وأقبل التسعة إلى يعقوب فأخبروه الخبر . انظر : « تفسيرالطبرى » (١٣ / ٣٤) و« الدر المنثور » (٤/ ٥٩٥) و « تفسير الثعالبى » (٢/ ٢٦٢) و« تفسير أبى السعود » (٤/ ٣٠٠) و « تفسير البغوى » (٢/ ٤٤٢) و « زاد المسير » (٤/ ٢٦٥) .

(٤) سورة القصص ـ الآية (٤)

(٥) قال ابن الجوزى : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ ﴾ أى : طغى وتجبر فى أرض مصر . وقال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : إن فرعون تجبر فى أرض مصر وتكبر وعلا أهلها وقهرهم حتى أقروا له بالعبودية .

انظر: «تفسير الطبرى» (٢٠/ ٢٧) و« الدر المنثور » (٦/ ٣٨٩) ، و« زاد المسير » (٦/ ٢٠١)، و« تفسير البغوى » (٣ / ٤٣٤) و « تفسير أبى السعود » (٧/ ٢) وتفسير ابن كثير» (٣/ ٣٨٠).

(٦) سورة القصص ـ الآية (١٩) .

(٧) لم أقف على من صرح بأن الأرض المقصودة هنا هى أرض مصر .

(٨) سورة الشعراء الآية (٥٣)

(٩) انظر : « تفسير ابن كثير » (٣/ ٣٥٢) و« تفسير الطبرى » (١٩ / ٧٤) و« الدر المنثور » =

وقوله تعالى : إخبارًا عن يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿ رب قد آتيتني من الملك ﴾ [١] المراد ملك مصر [٢]. كما قال بعض المفسرين أن المراد بقوله تعالى : ﴿ أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز ﴾ [٣] وهى أرض مصر [٤] . وقال بعضهم فى تفسير ﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقدرٍ فأسكناه في الأرض ﴾ [٥] المراد به نيل مصر [٦] .

= (٦/ ٢٩٣)و« تفسير الثعالبى » (٣/ ١٤٧)و« تفسير أبى السعود » (٦/ ٢٤٤) و«تفسير البغوى» (٣/ ٣٨٦) و « فتح القدير » (٤/ ١٢٣) و « تفسير البيضاوى » (٤/ ٢٣٩) .

(١) سورة يوسف ـ الآية (١٠١).

(٢) قال ابن جرير : ﴿ رب قد آتيتني مِنَ الْمُلْك ﴾ يعنى ملك أرض مصر .
انظر : تفسير الطبرى » (١٣ / ٧٢) و « الدرالمنثور » (٤/ ٥٩١ ـ ٥٩٥) .

(٣) سورة السجدة ـ الآية (٢٧) .

(٤) روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال : الأرض الجرز : أرض اليمن وقال مجاهد : ﴿أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز ﴾ قال : أبين ونحوها . وقال قتادة : الأرض الجرز: المغبرة .
وقال عكرمة : الأرض الجرز : السمحاء : وقال الحسن : الأرض الجزر : قرى فيما بين اليمن والشام .
وقال الحافظ ابن كثير : وليس المراد من قوله : ﴿ إلى الأرض الجُرُز ﴾ أرض مصر فقط بل هى بعض المقصود وإن مثل بها كثير من المفسرين فليست هى المقصودة وحدها ، ولكنها مرادة قطعا من هذه الآية فإنها فى نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من الماء ما لم لو نزل عليها مطرا لتهذيب أنيتها فيسوق الله تعالى إليها النيل بما تحمله من الزيادة الحاصة من أمطار بلاد الحبشة وفيه طين أحمر فيغشى أرض مصر ، وهى أرض سبخة مرملة محتاجة إلى ذلك الماء وذلك الطين أيضا لينبت الزرع فيه ،فيستغلون كل سنة على ماء جديد ممطور فى غير بلادهم وطين جديد من غير أرضهم فسبحان الحكم المنان المحمود أبدًا .
انظر : « تفسير الطبرى » (٢١ / ١١٤) و«الدر المنثور » (٦/ ٥٥٦) و« تفسير ابن كثير » (٣/ ٤٦٤).

(٥) سورة المؤمنون ـ الآية (١٨) .

(٦) قال الحافظ ابن كثير : يذكر تعالى نعمه على عبيده التى لا تعد ولا تحصى فى إنزاله القطر من السماء ﴿ بقدرٍ ﴾ أى بحسب الحاجة لا كثيرًا فيفسد الأرض والعمران ،ولا قليلا فلا يكفى الزروع والثمار ، بل بقدر الحاجة إليه من السقى والشرب والانتفاع به حتى إن الأراضى التى تحتاج ماء كثيرًا لزرعها ولا تحتمل دمنتها إنزال المطر عليها يسوق إليها الماء من بلاد أخرى كما فى أرض مصر ويقال لها : أرض الجرز ، يسوق إليها ماء النيل معه طين أحمر يجترفه من بلاد الحبشة فى زمان أمطارها فيأتى الماء يحمل طيبا أحمر فيسقى أرض مصر ، ويقر الطين . . . « تفسير ابن كثير » (٣/ ٢٤٣).

ذكر ما روى عن النبى ﷺ فى ذكر مصر

قوله ﷺ : « ستفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فإن لهم نسبًا وصهراً »[١] : قلت أما النسب فإن هاجر أم سيدنا إسماعيل عليهما السلام من قبط مصر ، وأما الصهر فإن مارية أم سيدنا إبراهيم عليها السلام ، ولد النبى ﷺ من قبط مصر أهداها المقوقس له ﷺ[٢].

وقوله ﷺ : « إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جندا كثيفًا فذلك الجند خير أجناد الأرض وإنهم فى رباط إلى يوم القيامة »[٣] .

وقوله ﷺ : « تفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فإن لكم بهم صهراً وذمة »[٤] . وفى الحديث الآخر : « ستفتح عليكم بعدى مدينة يذكر فيها القيراط فالتحقوا بها فإن من فاته الملك لم يفته الخير يا أصحابى إن مصر هى الربانية وهى المشرفة »[٥] .

وقوله ﷺ ـ لما ذكرت مصر فقال: «ما كادهم أحد إلا كفاهم الله مؤنته »[٦]. المراد أى ما كاد أهلها .

وقوله ﷺ : « وقد أوصى بقبط مصر وإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة »[٧].

---

(١) رواه الحاكم (٤٠٣٢) وعبد الرزاق (١٩٣٧٥) ، والطبرانى فى « الكبير » (١١١) (١١٢) (١١٣) وابن سعد فى « الطبقات الكبرى » (٨/ ٢١٤) والأصبهانى فى « دلائل النبوة » (٣٢٢) وابن جرير فى « التاريخ » (١/ ١٥٠) ومحمد بن إسحاق فى « السيرة » (١/ ١٣) .
قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال الهيثمى: رواه الطبرانى بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح «مجمع الزوائد» (١٠/ ٦٣) .

(٢) انظر : « تاريخ الطبرى » (١/ ١٥٠) وابن عبد البر فى « الاستيعاب » (١/ ٥٩) وابن سعد فى « الطبقات الكبرى » (٨/ ٢١٤) ، و« دلائل النبوة » للأصبهانى (١/ ٢٢٦) ، و« الديباج » للسيوطى (٥/ ٤٨٩) ، و« فيض القدير » للمناوى (١/ ٤٠٩) .

(٣) رواه ابن عساكر (٤٦/ ١٦٣) وابن عبد الحكم فى « فتوح مصر » ص (١٤١) .

(٤) تقدم .

(٥) لم أقف عليه بهذا اللفظ .

(٦) ذكره المقريزى فى « الخطط » ص (٢٤) والسخاوى فى « الأجوبة المرضية » (٢/ ٤٥٤) .

(٧) رواه الطبرانى فى « الكبير » (٥٦١) .

وقوله ﷺ : «مصر أطيب الأرضين ترابها وعجمها أكرم العجم أنسابًا» [١].

وقوله ﷺ : « أهل مصر فى رباط إلى يوم القيامة » [٢].

وقوله ﷺ : فى ابنه إبراهيم عليه السلام : « لو عاش كان نبيًا ـ ما استرق من القبط أحد أبدًا » [٣].

وقوله ﷺ : « من أعيته المكاسب فعليه بمصر وعليه بالجانب الغربى » [٤].

وقوله ﷺ : « قسمت البركة عشرة أجزاء فجعلت تسعة فى مصر وجزء بالأمصار كلها » [٥].

وقوله ﷺ : « اتقوا الله فى القبط لا تأكلوهم أكل الخضر ».

وقوله ﷺ : « إنهم يكونون لكم عدة فى سبيل الله » [٦]

وقوله ﷺ : « الإسكندرية أحد العروستين » [٧].

= قال الهيثمى : رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح . « مجمع الزوائد » (١٠/ ٦٣) .

(١) قال الحافظ ابن حجر : لا أعرفه مرفوعًا ، وإنما يذكر معناه عن عمرو بن العاص . انظر : «المقاصد الحسنة » ص (٦٠٩) ، و« كشف الخفا » (٢/ ٢١٠) ، و« لشذرة » (٢/ ١٣٤) ، و « الأسرار المرفوعة » (٤٣٨) .

(٢) تقدم .

(٣) رواه ابن ماجه (١٥١١) .
قال النووى : وأما ما روى عن بعض المتقدمين : « لو عاش » إلى آخره ، فباطل ، وجسارة على الغيبيات ومجازفة وهجوم على عظيم .
وقال الشيخ الألبانى : ضعيف : « ضعيف سنن ابن ماجه » ص (١١٥) .
وقال ابن عبد البر : لا أدرى ما هذا ، فقد ولد نوح عليه السلام غير نبى ، ولو لم يلد النبى إلا نبيًا لكان كل أحد نبيًا لأنهم من ولد نوح .

(٤) قال السخاوى : وعزا شيخنا لنسخة منصور بن عمار عن ابن لهيعة . . . فذكره .
وقال العقيلى : منصور بن عمار ، لا يقيم احديث .
وقال ابن عدى : أرجو أنه لا يتعمد الكذب
وقال ابن حبان : ليس من أهل الحديث لذين يحفظونه ، وأكثر روايته عن الضعفاء .
قلت : ثم هو يروى عن ابن لهيعة ، وابن لهيعة اختلط قبل موته ، ولم ينص أحد على أن منصور روى عنه قبل الاختلاط . والله أعلم .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) تقدم .

(٧) عزاه السيوطى لابن عبد الحكم فى «فتوح مصر» كما فى « حسن المحاضرة » (١/ ١٦) . =

وقوله ﷺ : « مصر خزائن الله فى الأرض والجيزة غيضة من غياض الجنة » (١) .

وقوله ﷺ : « حين أوتى بعسل بنها فدعى فيها بالبركة » (٢).

وقوله ﷺ ـ وقد أوتى بثياب من ثياب المعافر فقال أبو سفيان رضى الله عنه: لعن الله هذا الثوب ولعن من عمله ، فقال رسول الله ﷺ : « فإنهم منى وأنا منهم» (٣).

وقال ﷺ : « إن مصر ستفتح فانتجعوا خيرها ولا تتخذوها داراً فإنه يساق إليها أقل الناس أعماراً » (٤) .

وقال : عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما : « أهل مصر أكرم الأعاجم كلها وأسمحهم يداً وأفضلهم عنصراً وأقربهم رحماً بالعرب عامة وبقريش خاصة» (٥) .

وقال كعب الأحبار رضى الله عنه : « لولا رغبتى فى بيت المقدس ما سكنت إلا مصر . فقيل له : ولم ؟ قال : لأنها معافاة من الفتن ومن أرادها بسوء كبه

= ورواه ابن عدى فى « الكامل » (٧/ ١١٧) . وهو باطل ، كما قال الذهبى .
انظر : « ميزان الاعتدال » (٧/ ٩٨) ، و« الكشف الحثيث » ص (٢٧٢) .

(١) أورده الذهبى فى ترجمة ـ أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن نبيط بن شريط ـ عن أبيه عن جده بنسخة فيها بلايا وذكر الذهبى هذا الحديث عن بلاياه .
قال القارى : هذا كذب موضوع . انظر « ميزان الاعتدال » (١/ ٢١٤) ، و« المصنوع » ص (٨٩) و« كشف الخفا » (١/ ٤٠٥) .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) رواه أحمد فى « المسند » (١٨٧٤١) ، وابن عبد البر فى « الاستيعاب » (٤/ ١٦١٨) ، والطبرانى فى « الكبير » (٧٨٧) .
قال الهيثمى : رواه أحمد والطبرانى وإسنادهما حسن .

(٤) رواه الطبرانى فى « الكبير » (٤٦٢٥) ، وابن عساكر فى « التاريخ » (١٨/ ٣١) .
قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى معجمه « الكبير » وفيه مطهر بن الهيثم ، قال أبو سعيد بن يونس : متروك . انظر « مجمع الزوائد » (١٠/ ٦٤) ، وقال البخارى : لا يصح . وقال ابن الجوزى : موضوع . وكذا قال الألبانى .

(٥) عزاه السيوطى لابن عبد الحكم فى فتوح مصر كما فى حسن المحاضرة (١/ ٢١) .

الله على وجهه وهو بلد مبارك على أهله وفى التوراة مكتوب : « **مصر خزائن الأرض كلها فمن أرادها بسوء قصَمه الله** » .

قال الأصبحى : وقد ذكر له مصر فقال : ما يريدهم أحد بسوء إلا أهلكه الله ولا يريد أحدًا هلاكهم إلا ورده الله عليهم .

وأخرج فى كرامات الأولياء وابن عساكر فى تاريخه عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال : « قبة الإسلام بالكوفة والنجباء بمصر والأبدال بالشام»[١] وأخرج ابن عساكر من وجه أخر عن على رضى الله تعالى عنه ـ قال : « الأبدال بالشام والنجباء من أهل مصر والأحبار من العراق »[٢] .

وأخرج ابن عساكر من طريق أحمد بن أبى الحوارى رضى الله تعالى عنهما قال : سمعت أبا سليمان يقول : « الأبدال بالشام والنجباء بمصر والقطب باليمن والأحبار بالعراق »[٣] .

وأخرج الخطيب البغدادى وابن عساكر من طريق عبد الله بن محمد البستى قال : سمعت الكتانى يقول : النقباء ثلاثمائة والنجباء سبعون والبدلاء أربعون والأحبار سبعة والعمد أربعة والغوث واحد فمسكن النقباء المغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن الأبدال الشام والأحبار سياحون فى الأرض والعمد فى زوايا الأرض ومسكن الغوث مكة فإذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأحبار ثم العمد فإن أجيبوا وإلا ابتهل الغوث فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته نتهى .

---

(١) رواه ابن عساكر فى « تاريخ دمشق » (١/ ٢٩٦) وإسناده ضعيف فيه زيد بن الحباب ، وابن لهيعة ، وفيهما كلام .

زيد بن احباب : صدوق يخطئ فى حديث الثورى .

وابن لهيعة : اختلط .

وقد ذكر ابن الجوزى أحاديث الأبدال وطعن فيها واحدًا واحدًا وحكم بوضعها .

(٢) رواه ابن عساكر (١/ ٣٠٠) .

(٣) انظر المتقدم .

ذكر دعاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لمصر وأهلها [١]

قال عبد الله بن عمرو : ولما خلق الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام مثل له الدنيا شرقها وغربها وسهلها وجبلها وأنهارها وبحارتها وبنائها وخرابها ومن يسكنها من الأمم من يملكها من الملوك فلما رأى مصر رآها أرضًا سهلة ذات نهرجار ماؤه من الجنة تنحدر فيه البركة وتحفه الرحمة ورأى جبلاً من جبالها مكسو نورًا لا يخلو من نظر الحق إليه بالرحمة فى سفحة أشجارًا مثمرة فروعها فى الجنة يسقى بماء الرحمة فدعى آدم عليه الصلاة والسلام فى النيل بالبركة ودعا فى أرض مصر بالرحمة والبر والتقوى وبارك على سهلها وجبلها سبع مرات وقال ياأيها الجبل المرحوم سفحك جنة ، وترتبك مسكة يدفن فيها غراس الجنة . لا خلتك يا مصر بركة ولإن زال فيك ملك وعز يا أرض مصرفيك الخبايا والكنوز ولك البر والثروة سأل نهرك عسلاً كثر الله زرعك وأدر ضرعك ، وزكا نباتك ، وعظم بركتك وخصبت أرضك » [٢] .

وقال عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما : « دعا نوح عليه الصلاة والسلام لولده وولد ولده مصر بن بيصر بن حام ولد نوح عليه الصلاة والسلام وبه سميت مصر مصرًا فقال اللهم إنه قد أجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته وأسكنه الأرض الطيبة المباركة التى هى أم البلاد » .

ورأيت فى كتاب « الخبر عن البشر » [٣] للمقريزى ـ رضى الله تعالى عنه ـ « أن نوحًا عليه الصلاة والسلام لما طاف الأرض بالسفينة فصار كلما مر على بلدة تخرج إليه الملائكة الذين يتولون حراستها فيسلمون على نوح عليه الصلاة والسلام فلما مر على مصر لم يخرج إليه أحد فتعجب من ذلك فنزل عليه الوحى من الله

(٤) رواه ابن عساكر (١/ ٣٠٠، ٣٠١) ، والخطيب البغدادى ، والكلام فى هذا الحديث كالكلام فى أول حديث عن الأبدال .

(٢) هذا الأثر أورده السيوطى فى حسن المحاضرة وقال : لم أقف له على إسناد فى كتب أهل الحديث المسندة ، أوردها ابن زُولاق وغيره . انظر : « حسن المحاضرة » (١/ ٢٢) و« الفضائل الباهرة » ص (٧٨) .

(٣) فى الأصل : « الخير فى البشر ، والصواب ما أثبتناه . قال كحالة : وهو كتاب مطول فى التاريخ والأنساب . انظر « معجم المؤلفين » (١/ ٢٤) .

تعالى بأن لا تعجب يا نوح من ذلك فإن كل بلدة قيدت لها ملائكة لحراستها إلا مصر فأنا توليت حراستها بنفسى» [١]

وقال عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما : « ولما قسم نوح عليه الصلاة والسلام الأرض بين أولاده جعل لحام مصر وسواحلها والمغرب وشاطئ النيل فلما دخلها بيصر بن حام وبلغ العريش قال : اللهم إن كانت هذه الأرض التى وعدتنا بها على لسان نبيك نوح عليه الصلاة والسلام فاجعلها لنا منزلا واصرف عنا وباءها وطيب لنا ثراها ، وأجر لنا ماءها ، وأنبت لنا كلاءها وبارك لنا فيها ، وتمم لنا وعدك إنك على كل شيء قدير ، وإنك لا تخلف الميعاد ، وجعلها بيصر لابنه مصر وسماها باسمه ، والقبط من ولد مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه الصلاة والسلام وأوصى رسول الله ﷺ بهم وبمصر وقبط مصر قريش العجم»[٢].

ذكر وصف العلماء لمصر ودعائهم واختيارها للصحابة والملوك بعدهم وإلى وقتنا هذا :

قال سعيد بن أبى هلال[٣] : اسم مصر فى الكتب أم البلاد .

وقال عبد الله بن عمر[٤] **رضى الله تعالى عنهما** : أهل مصر أكرم الأعاجم كلها وأسمحهم يدًا وأفضلهم عنصرًا وأقربهم رحمًا بالعرب عامة وبقريش خاصة» وقال : إن الله أعطى أهل مصر قوة البراذين يعنى على عمل الأرض » .

وقال أبو رهم السماعى[٥] : لا تزال مصر معافاة من الفتن مدفوع عن أهلها

---

(١) لم أقف عليه مسندًا .

(٢) لم أقف عليه مسندًا . ولكن انظر « الفضل الباهرة » ص (٧٨، ٧٩) ، و« فضائل مصر » لابن زولاق .

(٣) هو سعيد بن أبى هلال ، ثقة معروف حديثه فى الكتب الستة ، يروى عن نافع ، ونعيم المجمر، وعنه سعيد المقبرى أحد شيوخه ، قال ابن حزم وحده : ليس بالقوى ، توفى سنة (١٣٠أو ١٣٥ هـ) انظر : « ميزان الاعتدال » (٣/ ٢٣٦) .

والأثر : أخرجه ابن عبد الحكم فى « فتوح مصر والمغرب » ص (٦) ، وهو ضعيف .

(٤) ابن عمرو، كما فى « تاريخ مصر لابن زولاق » ، و« الفضائل الباهرة » ، و«حسن المحاضرة».

(٥) هو أبو رهم السماعى ، ويقال السمعى . هو أحزاب بن أسيد الظهرى : من كبار التابعين ، روى عنه خالد بن معدان .

الأذى ما لم يغلب عليها غيرهم فإذا كان ذلك لعبت بهم الفتن يمينًا وشمالاً .

وقال أبو بصرة الغفارى[١]: مصر خزائن الأرض كلها سلطان مصر سلطان الأرض كلها ألا ترى إلى قول يوسف عليه الصلاة والسلام لملك مصر [٢] : ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ [٣] .

وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يثنى على مصر ويقول من استطاع منكم أن يسكنها فليفعل .

وقال عبد الله بن عمر : مثلت الدنيا على صورة طائر فرأسه مكة والمدينة واليمن ، والصدر مصر والشام ، والجناح الأيمن العراق ، وخلف العراق أمة يقول لها راق ، وخلف راق أمة يقال لها واق وخلف ذلك من الأمم ما لا يعلمه إلا الله ، والجناح الأيسر المغرب وبلاد الروم .

ومصر اختيار نوح عليه الصلاة والسلام لولده ، واختيار الحكماء لأنفسهم ، واختيار أمير المؤمنين على بن طالب كرم الله تعالى وجهه لأنفس أصحابه وهم قيس بن سعد[٤] . . . . . .

---

(١) هو أبو بصرة الغفارى صحب النبى ﷺ ، ونزل مصر، وشهد فتح مصر، واختلط بها ، ومات بها ودفن بمقبرتها .

انظر : « تاريخ ابن يونس » ص (٥١٧) .

قلت : تبع المصنف هنا ما نقله من كتب التواريخ وكتاب « الأنساب » فى قوله : « أبو نصرة » والصواب « أبو بصرة » كما فى « تاريخ ابن يونس » .

(٢) رواه ابن يونس فى « تاريخ مصر » ص (٥١٧) رقم (١٤٢٤) وفيه ابن لهيعة وتقدم بيان حاله ، وعبد الرحمن بن معاوية ، قال ابن معين وغيره : لا يحتج به ، وقال مالك : ليس بثقة ، وقال النسائى : ليس بثقة .

(٣) سورة يوسف ـ الآية (٥٥) .

(٤) هو قيس بن سعد بن عبادة بن دُليم بن حارثة ، الأمير المجاهد ، أبو عبد الله سيد الخزرج وابن سيدهم أبى ثابت الأنصارى الخزرجى الساعدى صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه ، شهد فتح مصر واختلط بها دارًا ، ووليها لعليٍّ سنة ست ، وعزله عنها سنة سبع توفى فى آخر خلافة معاوية .

لما تولى على الخلافة بعث إلى محمد بن أبى حذيفة ، فقلده مصر ، ولم يزل عليها من قبله إلى أن قتل بالشام ، وكان قد استخلف الحكم بن الصلت ، ثم ولى قيس بن سعد بن عبادة ،=

والأشتر[١] ومحمد بن أبى بكر الصديق[٢] رضى الله تعالى عنهم ، واختيار مروان ابن الحكم[٣] لابنه عبد العزيز[٤] ، واختيار السفاح[٥] لعمه صالح بن

= وجمع له حربها وخراجها ، وكان قيس هذا شجاعًا عاقلاً ذا هيبة ، وكانت له ولاية ومنزلة من رسول الله ﷺ ، قال أنس : كان منه بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير ، يقوم بين يديه متكئًا على سيف ، وكان بليغًا يقول فى دعائه : اللهم إنى أسألك حمدًا ومجدًا ، فإنه لا حمد إلا بعمل ، ولا مجد إلا بمال وفضل .

انظر : « سير أعلام النبلاء » (٤/ ٢٧٧) ، و« كتاب المقفى الكبير » (٥/ ٥٣٠) ، و(٢/ ٤١٢) ، و« الفضائل الباهرة » ص (٢٢، ٢٣) .

(١) هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة ، من سكان الكوفة ، أحد الأشراف الشجعان المذكورين ، ومن كبار أمراء على بن أبى طالب ، وأحد أمراء مصر ، أدرك الجاهلية ، وروى عن عمر وعلى وخالد بن الوليد وأبى ذر رضى الله عنهم ، سمى الأشتر بعد أن أصيبت عينه فى اليرموك . « المقفى » (٥/ ١٧) .

(٢) هو محمد بن أبى بكر الصديق، ولدته أسماء بنت عميس فى حجة الوداع وقت الإحرام ، وكان قد ولاه عثمان إمرة مصر ، قال عمرو بن دينار ، أتى بمحمد أسيرًا إلى عمرو بن العاص، فقتله ، يعنى : بعثمان . « سير أعلام النبلاء » (٥/ ٩) .

لما قتل عمر رضى الله عنه ، وولى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، خرج إليه عمرو بن العاص مهنئًا ، وطمع فى لينه ، وقال : (ترد إلىَّ مصر بصعيدها ؟ فقال له عثمان : عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولى عبد الله بن أبى السرح . وليس بينه وبينه صلة رحم ، وهو أخى من الرضاعة فغضب عمرو ، ونهض من عنده . فكتب عثمان إلى عبد الله بن أبى السرح سرًا بولاية مصر جميعها ، فبقى عمرو مقيمًا بالمدينة ، فأقام عبد الله على مصر كلها أيام عثمان رضى الله عنه ، وعسف أهل مصر ، فقدم المصريون المدينة على عثمان مستصرخين ، وكثر ضجيجهم ، فدخل على بن أبى طالب رضى الله عنه على عثمان وقال له : يا هذا ، اصرفه وأرح نفسك منه . فقال : بمن أبدله ؟ قال : بمحمد بن أبى بكر ، فأحضره عثمان ، وقلده ، وكتب له عهدًا ، وضم إليه عسكرًا ، وسار معه المصريون ، وودعه على بن أبى طالب .

(٣) هو مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، الملك أبو عبد الملك القرشى الأموى ، مولده بمكة وهو أصغر من ابن الزبير بأربعة أشهر ، وقيل له رؤية ، وكان ذا شهامة وشجاعة ومكر ودهاء ، أحمر الوجه قصيرًا ، أوقص ، دقيق العنق ، كبير الرأس واللحية، يلقب : خيط باطل ، استولى على الشام ومصر تسعة أشهر ، ومات خنقًا من أول رمضان سنة خمس وستين « سير أعلام النبلاء » (٥/ ٣ ـ ٦) .

(٤) هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم، أمير مصر، أبو الأصبغ المدنى ، ولى العهد بعد عبد الملك، عقد له بذلك أبوه ، واستقل بملك مصر عشرين سنة وزيادة ، ومات سنة خمس وثمانين . «سير أعلام النبلاء » (٥/ ٢٣٦، ٢٣٧) .

(٥) هو السفاح الخليفة أبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن حبر الأمة ، عبد الله بن عباس ،=

على[١] ولأكثر أهله ووليها من بنى هاشم أربعة عشر ملكًا ، واختيار المأمون[٢] لأخيه المعتصم[٣] واختيار عبد الله بن طاهر [٤] وهو من أنفس أصحابه واختيار الخلفاء لمن يقوم منهم وكذلك الملوك والسلاطين .

وأما سادتنا آل عثمان

فعدم جعلها دار ملكهم وكرسى سلطانهم لخوفهم على القسطنطينية من الكفرة ولما ملكوا من جهة بر روميل من الكفار فخافوا أن يجعلوها دار ملكهم لبعد المسافة من مصر إلى الجهة المذكورة ولكن ليس عندهم أعظم من مصر ولا أرجح منها دون سائر بلادهم فنسأل الله تعالى أن يبغيها بأيديهم إلى يوم القيامة .

= أول خلفاء بنى العباس ، كان شابًا ، مليحًا ، مهيبًا ، أبيض ، طويلاً وقورًا ، هرب السفاح وأهله من جيش مروان الحمار ، وأتوا الكوفة ، لما استفحل لهم الأمر بخراسان ، ثم بويع فى ثالث ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، ثم جهز عمه عبد الله بن على فى جيش ، فالتقى هو ومروان الحمار على كشاف فكانت وقعة عظيمة، ثم تفلَّل جمع مروان، وانطوت سعادته، ولكن لم تطل أيام السفاح ، ومات فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، وعاش ثمانيًا وعشرين سنة فى قول . « سير أعلام النبلاء » (٦/ ٣١٠) .

(١) هو صالح بن على ابن جد الأمة عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، الأمير الشريف ، أبو عبد الملك الهاشمى العباسى ، عم المنصور ، أحد الأبطال المذكورين ، هو الذى افتتح مصر وانتدب لحرب مروان الحمار ، فجهز جيشًا فى طلبه فأدركوه ببوصير قرية من أعمال مصر ، فبيتوه ، فقاتل المسكين حتى قتل ، وولى صالح نيابة دمشق ، توفى سنة إحدى وخمسين أو اثنتين وخمسين ومائة . « سير أعلام النبلاء » (٧/ ١٨، ١٩) .

(٢) هو المأمون الخليفة أبو العباس ، عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدى بن أبى جعفر المنصور العباسى ، ولد سنة سبعين ومائة ، وقرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل ، وأمر بتعريب كتبهم ، وبالغ وعمل الرصد فوق جبل دمشق ودعا إلى القول بخلق القرآن فبالغ ، نسأل الله السلامة ، مات سنة ثمان عشرة ومائتين ، وله ثمان وأربعون سنة . «سير أعلام النبلاء » (٩/ ٤٤ ـ ٥٤) .

(٣) هو المعتصم الخليفة أبو إسحاق محمد بن الرشيد هارون بن محمد المهدى بن المنصور العباسى ، ولد سنة ثمانين ومائة ، وأمه ماردة أم ولد ، بويع بعهد من المأمون فى رابع عشر رجب سنة ثمان عشرة ، وكان أبيض ، أصهب اللحية طويلها ، ربع القامة ، مُشرب اللون ، ذا قوة وبطش وشجاعة وهيبة ، لكنه نزر العلم . مات سنة (٢٢٧) هـ .

(٤) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ، الأمير العادل ، أبو العباس حاكم خراسان وما وراء النهر ، تأدب وتفقه ، قلده المأمون مصر وإفريقية ، ثم خراسان ، وكان ملكًا مطاعًا سائسًا مهيبًا جوادًا ممدحًا من رجال الكمال ، مات بالخانوق سنة ثلاثين ومائتين ، وله ثمان وأربعون سنة . « سير أعلام النبلاء » (٩/ ٣٠٩) .

ذكر فتوح مصر المحروسة

قال ابن زولاق[١] وغيره : كانت مصر دار كفر وهى الإسكندرية ومنف والصعيد وأسفل الإرض إلى الوضع المعروف بالشجرتين ، وبئر أبى إسحاق وهو العريش إلى الحصن المعروف بقصر الشمع[٢] وكان جميع ذلك فى يد هرقل عظيم الروم يتولى المقوقس[٣] القبطى أكثرها واسمه منشا بن قرقت اليونانى ويخلفه على قصر الشمع المندفور بالأعرج ثم بعث الله سبحانه رسوله سيدنا محمد ـ ﷺ ـ فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر إلى لمدينة فأقام بها عشرًا [فأرسل] [*] ﷺ للمقوقس ودعاه إلى الإسلام ، وكان الرسول إليه عبادة بن الصامت[٤] فأجاب رسول الله ﷺ عن كتابه وأهدى إليه من قباطى مصر وطرائفها وعسلاً وفرسًا وبغله وحمارًا وسأل ﷺ عن العسل فقيل له من قرية يقال لها بنها فقال اللهم بارك فى بنها وفى عسلها وبلغ المقوقس أنه لا يجمع بين الأختين الشقيقتين فأهدى إليه مارية وشرين وكانتا أختين شقيقتين كاملتين فى الحسن ، فلما أدخلتا عليه ﷺ

---

(١) هو الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن على بن خلف بن راشد بن عبد الله بن سليم بن زولاق ، أبو محمد ، الفقيه ، التاريخى ، الليثى المصرى ، ولد سنة ست وثلاثمائة ، كان فقيهًا ، شافعيًا ، فيه تشيع ، ورماه ابن عين الغزال بالكذب توفى يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة سبع وثمانين وثلاثمائة بمصر فى أيام الحاكم بأمر الله . « المقفى الكبير » (٣/ ٢٨٤، ٢٨٥) .

(٢) قصر الشمع : أحدث داخل الفسطاط بعد خراب مصر على يد بختنصر ، وكان يوقد عليها الشمع فى رأس كل شهر ليعلم الناس أن الشمس قد انتقلت من البرج الذى كانت فيه ، وقيل أنه بنى للفرس بمثابة بيت نار هيكله القبة المعروفة بقبة الدخان .

(٣) المقوقس لقب الوالى وهو لفظ مشتق من اسم قطعة صغيرة من العملة البرونزية كانت متداولة أيام الإمبراطور جستنيان ، ويطلق المؤرخون اسم المقوقس على حاكم مصر فى ذلك العصر إطلاقًا خاطئًا ، والمقصود بالمقوقس هو قيرس بطريق الإسكندرية الملكانى الذى جمع له هرقل ولاية الدين وجباية الخراج بأرض مصر .

(*) بياض بالأصل .

(٤) هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف ابن الخزرج . الإمام القدوة أبو الوليد الأنصارى أحد النقباء ليلة العقبة ، ومن أعيان البدريين ، سكن بيت المقدس توفى سنة (٣٤)هـ ، « سير أعلام النبلاء » (٣/ ٣٥٣) .

فقال اللهم اختر لنبيك فبادرت مارية رضى الله تعالى عنها بالإسلام فاصطفاها لنفسه . واختلف فى أختها . فروى أبو عمر محمد بن يوسف الكندى[١] أن رسول الله ﷺ وهبها لجهم العبدى فولدت له زكريا بن الجهم وهو صاحب الدار التى فى زقاق القناديل[٢] كانت . وقيل أنه وهبها لحسان بن ثابت[٣] رضى الله تعالى عنه فولدت له عبد الرحمن[٤] وهو الأشهر فلم تزل مصر وأعمالها دار كفر مدة حياة رسول الله ﷺ وأيام أبى بكر وصدرا أمن خلافه عمر رضى الله تعالى عنهما فلما سافر عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى الشام فى سنة تسع عشرة من الهجرة حسن له عمربن العاص رضى الله تعالى عنه المسير إلى مصر وقال له قد دخلتها فى أيام الجاهلية وعرفت طرقها ومابها مانع عن أخذها . [فروى][٥] القضاعى أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن بن الحكم بن أبى مريم أنا عثمان بن صالح

---

(١) هو أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندى ، المؤرخ الفقيه الحنفى ، ولد يوم النحر سنة ثلاث وثمانين ومائتين ، صنف الكثير فى أخبار مصر فمنها : كتاب الأمراء ، وكتاب الرايات ، وكتاب القضاة ، وكتاب الموالى ، وكتاب الجند الغربى ، وكتاب الخندق والتراويح ، وكتاب الخطط ، وكتاب أخبار السرى بن الحكم ، وكان عارفًا بأحوال الناس وسيد الملوك . توفى يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة خمسين وثلاثمائة بمصر ، ودفن بمقابر غافق وكندة .

(٢) زقاق القناديل : كان موضعه أمام الركن الشرقى لجامع عمرو ، وإنما وسم بزقاق القناديل لأنه منازل الأشراف . وكان على أبوابهم القناديل ، أو لأنه كان يرسمه قنديل يوقد على باب عمرو، وقد دخل أغلبه فى الجامع العتيق .

(٣) هو حسان بن ثابت بن المنذر ، سيد شعراء المؤمنين ، المؤيد بروح القدس أبو الوليد ، ويقال : أبو الحسام ، الأنصارى الخزرجى المدنى ، ابن الفريعة شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه ، قال ابن سعد ، عاش ستين سنة فى الجاهلية ، وستين سنة فى الإسلام ، توفى سنة (٥٤) هـ .

(٤) هو : عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد بن عدى بن عمرو ابن مالك بن النجار ، وأمه سيرين القبطية أخت مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ وهبها لحسَّان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن بن حسَّان ، فهو ابن خالة إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، وكان عبد الرحمن شاعرًا وقد روى عن أبيه وغيره . ويكنى عبد الرحمن ابن حسَّان أبا سعيد ، وكان شاعرًا قليل الحديث . انظر « الطبقات الكبرى » (٥/ ٢٠٤) ، و«سير أعلام النبلاء » (٥/ ٥٤٢) .

(٥) بياض بالأصل والمصنف هنا ينقل هذا الخبر من كتاب « فتوح مصر والمغرب » لابن عبد الحكم . وانظره ص (٨٠) .

قال: حدثنى الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب وعبيد الله ابن أبى جعفر وعباس بن عباس الغسانى وبعضهم يزيد على بعض فى الحديث أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما قدم الجانب خلا به عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه وذلك سنة ثمانى عشرة من الهجرة[١] فقل يا أمير المؤمنين : ائذن لى فى المسير إلى مصر فإنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم وهى أكثر الأرضين أموالا وأعجز عن الحرب والقتال فتخوف عمر رضى الله تعالى عنه على المسلمين وكره ذلك[٢] فلم يزل عمرو بن العاص يعظم أمرها عنده ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها حتى ركن لذلك عمر رضى الله تعالى عنه فعقد له على أربعة آلاف رجل كلهم من عك .

وقال الكندى : سار ومعه ثلاثة آلاف وخمسمائة وقال له سر وأنا مستخير الله فى مصيرك وسيأتيك كتابى سريعًا إن شاء الله تعالى فإن لحقك كتابى آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أوشيئًا من أرضها فانصرف وإن دخلتها قبل أن يأتيك كتابى فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره فسار عمرو رضى الله تعالى عنه واستخار الله عمر رضى الله تعالى عنه [فكأنه][*] تخوف على المسلمين فكتب إليه يأمره بالرجوع فوصل إليه الكتاب وهو برفح[٣] فلم يأخذه من الرسول ودافعه وسار حتى نزل العريش[٤] وقيل له إنها مصر فدعا بالكتاب وقرأه على المسلمين وقال تعلمون أن هذه القرية من مصر قالوا نعم قال فإن أمير المؤمنين عهد إلى أن لحقنى كتابه ولم أدخل أرض مصر أن أرجع وقد دخلت أرض مصر فسيروا وامضوا على بركة الله « وعونه »[٥] فكان أول موضع لقية الروم فيه

(١) وهذه السنة توافق سنة ٦٣٠م . وكان العرب لا يزالون على حصار مدينة قيصرية .

(٢) ولا يزال هذا هو خلق الأمراء والولاة الأمناء ، وهو الخوف على الأمة وعلى الرعية ، ولا يجازف برعيته وشعبه فى أمور غير مأمونة العوقب فرحم الله هؤلاء الخلفاء ورضى عنهم وعلى من سار على دربهم إلى يوم الدين آمين.

(*) ليست بالأصل زنادها من « الفضائل الباهرة » ص (٩٥) .

(٣) رفح : بلد بالقرب من العريش فى الإقليم الجنوبى من مصر .

(٤) العريش : بلد قديم فى الطرف الشمالى لشبه جزيرة سيناء تطل علي البحر الأبيض المتوسط .

(٥) هذه اللفظة ليست فى نُسخ « فتوح مصر » الموجودة تحت يدى ، وأظنها زيادة من المصنف =

بالفرما فقاتلهم قتالاً شديداً نحواً من شهر فهزمهم ثم عادوا فهزمهم ثم عاد فهزمهم وفتح الله . ثم قدم عمرو رضى الله تعالى عنه لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى بليس فقاتلوه .بها نحوا من شهر ثم فتح الله تعالى وتقدم لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى أم دنين[١] وهى المقس فقاتلوه قتالا شديداً وكتب إلى عمر رضى الله تعالى عنه يستمده فأمر له باثنى عشر ألفًا فوصلوا إليه أرسالا يتبع بعضهم بعضًا فكان فيهم أربعة آلاف عليهم أربعة قوموا بأربعة آلاف وهم الزبير بن العوام[٢] ، والمقدام بن الأسود[٣] وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد[٤] ، وقيل إن الرابع خارجة بن حذافة السهمى[٥] دون مسلمة فأحاط المسلمون بالحصن وأميرهم يومئذ المندفور[٦] الذى يقاله الأعرج من قبل

= وأغلب الظن أنه نقل الخبر بمعناه لا بنصه ، والله أعلم . راجع « كتاب الولاة وكتاب القضاة» لأبى عمر ص (٦ ـ ٨) .

(١) أم دنين : قرية من قرى مصر واقعة على شاطئ النيل وقت أن كان يجرى لعهد الدولة الفاطمية فى المكان الحالى لشارع عماد الدين ، ثم شارع رمسيس من النهاية الشمالية لشارع عماد الدين، ثم ميدان محطة مصر ، ثم شارع غمرة إلى فم الترعة الإسماعيلية .

(٢) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب ، وأحد العشرة المشهود له بالجنة ، وأحد الستة أهل الشورى ، وأول من سل سيفه فى سبيل الله ، أبو عبد الله رضى الله عنه أسلم وهو حدث ، له ست عشرة سنة ، توفى سنة (٣٦هـ) .

(٣) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة القضاعى الكندى البهرانى ، ويقال له : المقداد ابن الأسود ، لأنه رُبى فى حجر الأسود بن عبد يغوث الزهرى فتبناه ، كان آدم طوالاً ، ذا بطن ، أشعر الرأس ، أعين ، مقرون الحاجبين مهيبًا ، عاش نحوًا من سبعين سنة ، توفى سنة (٣٣ هـ) .

(٤) هو مسلمة بن مخلد بن الصامت الأنصارى الخزرجى ، الأمير ، نائب مصر لمعاوية ، يكنى أبا معن ، وقيل : كنيته أبو سعيد ، له صحبة ، ولا صحبة لأبيه ، قال على بن رباح : سمعته يقول : ولدت مقدم النبى ﷺ المدينة وقبض ولى عشر سنين . توفى سنة (٦٢ هـ) .

(٥) هو خارجة بن حذافة بن غانم بن عامر بن عمر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب القرشى، أحد أصحاب النبى ﷺ ، شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص ، وقيل : أنه كان قاضيًا لعمرو بمصر ، وذكر أبو عمر الكندى : أنه كان على شرطة عمرو فى مدة ولايته الأولى كلها ، وهى أربع سنين وأشهر ، توفى سنة ٤٠ هـ .

(٦) يقال : « المندفور » ، و« المندقور » ويقال له : الأعيرج كما ذكر ذلك ابن عبد الحكم فى =

المقوقس(*) ، وكان نازلا بالإسكندرية وهوفى سلطنة هرقل غير أنه كان حاضر للحصن حين حاصره المسلمون ونصب عمرو(١) رضى الله تعالى عنه فسطاطه وأقام المسلمون على باب الحصن محاصرين للروم سبعة الشهر فرأى الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه خللا [فى الحصن] (*) فنصب سلمًا وأسنده إلى الحصن وقال إنى أهب نفسى لله فمن شاء أن يتبعنى فتبعه جماعة من المسلمين حتى رقى على الحصن فكبروا كبروا ثم نصب شرحبيل بن حجية المرادى سلمًا آخر ويقال أن السلم الذى صعد عليه الزبير رضى الله تعالى عنه بقى موجودًا بداره التى يسوق وردان إلى أن وقع حريق فى هذه الدار فاحترق بعضه ثم أحرق ما بقى منه فى ولاية عبد العزيز بن محمد بن النعمان القاضى رذلك بعد سنة تسعين وثلثمائة ، فلما رأى المقوقس العرب قد ظفروا بالحصن جلس فى سفينة هو وأهل القوة وكانت ملصقة بباب الحصن الغربى فلحقوا بالجزيرة وهى الروضة وقطعوا الجسر وتحصنوا هناك والنيل حينئذ فى مده ،وقيل إن الأعيرج خرج معهم وقيل أقام فى الحصن ، وسأل المقوقس فى الصلح فبعث إليه عمرو رضى الله تعالى عنه بعبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه وكان رجلا أسود اللون طوله عشرة أشبار فصالحه المقوقس عن القبط والروم على أن للروم الخيار فى الصلح إلى أن يوافى كتاب ملكهم فإن رضى ذلك فكان الصلح وإن السخط انتقض الصلح ما بينه وبين الروم وأما القبط فبخير خيار وكان الذى انعقد عليه الصلح أن فرض على جميع

= «فتوح مصر » ص (٨٥) والمقريزى فى « المقفى الكبير » (٣/ ٢٨) ،وفى « الخطط » (٢/ ٦٥).

وقد ذكر الأستاذ عبد المنعم عامر: أنه القائد جورج الرومانى، وأنه كان واليًا على قصر الشموع.

(١) فى الأصل « عمر » والصواب ما أثبتناه .

(*) هو : جريج بن مينا بن قرقب المقوقس ، وجهه هرقل ملك الروم إلى مصر أميرًا وجعل إليه حربها ، وجبابة خراجها ، فنزل الإسكندرية ، وبعث إليه رسول الله ﷺ حاطب بن أبى بلتعة بكتابه إليه سنة سبع من الهجرة فوافاه بالإسكندرية ، فلما دخل عليه أجلسه وتناول منه الكتاب وقتله وضمّه إلى صدره ، وقال : مرحبًا بكتاب النبى العربى ثم قرأه .

انظر : « المقفى الكبير » (٣/ ٢٣) ، و« الخطط » (١/ ٤٥) ، و« سيرة دحلان » (٢/ ١٧٣).

(*) ليست بالأصل زدناها من « الفضائل الباهرة » ص (٩٦) .

من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط ديناران عن كل نفس فى كل سنة من البالغين شريفهم [ووضيعهم] (١) دون الأشياخ والأطفال والنساء وعلى أن للمسلمين عليهم النزل حيث نزلوا وضيافة ثلاثة أيام لكل من نزل بهم وأن لهم أرضهم وديارهم وأموالهم لايعترضون فى شيء منها فكان عدد القبط يومئذ أكثر من ستة آلاف ألف نفس وأسكنهم بالقصر وأسكن العرب الخطط وأسكن الروم الحمراء وبهم سميت الحمراء وأسكن الفرس ببنى وائل ولهم هناك مسجد يعرف بمسجد الفارسيين ولم يبق له الآن أثر .

فمن قال أن مصر فتحت صلحًا تعلق بهذا الصلح وقال أن الأمر لم يتم إلا بما جرى بين عباده بن الصامت رضى الله تعالى عنه وبين المقوقس ولأنه لم يقسمها وعلى ذلك أكثر علمًا أهل مصر منهم عقبة بن عامر ، ويزيد بن أبى حبيب ، والليث بن سعد (٢) وغيرهم رضى الله تعالى عنهم .

وذهب من قال أنها فتحت عنوة إلى أن الحصن فتح عنوة وبعضها صلحًا منهم ابن شهاب(٣) وابن لهيعة .

وكان فتحها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة .وذكر يزيد بن أبى حبيب (٤) أن عدد الجيش الذين كانوا مع عمرو رضى الله تعالى عنه خمسة

---

(١) فى الأصل : وضعيفهم . والصواب ما أثبتناه .

(٢) هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن ، الإمام الحافظ شيخ الإسلام ، وعالم الديار المصرية ، أبو الحارث الفهمى مولى خالد بن ثابت بن ظاعن ، وأهل بيته يقولون : نحن من الفرس ، من أهل أصبهان ، ولا منافاة بين القولين ، مولده : بقرقشندة ـ قرية من أسفل أعمال مصر ـ فى سنة أربع وتسعين . وكان الليث رحمه الله فقيه مصر ، ومحدثها ، ومعتشمها ، ورئيسها وممن يفتخر بوجوده الإقليم ، بحيث إن متولى مصر وقاضيها وناظرها من تحت أوامره ، ويرجعون إلى رأيه ومشورته ، ولقد أراده المنصور على أن ينوب له على الإقليم ، فاستعفى من ذلك . توفى سنة ١٧٥هـ . انظر « سير أعلام النبلاء » (٧/ ٤٣٨) .

(٣) هو : محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى ، الإمام العلم ، حافظ زمانه، أبو بكر القرشى الزهرى المدنى ، نزيل الشام . توفى سنة ١٢٣ أو ١٢٤ هـ « سير أعلام النبلاء » (٦/ ١٣٣) .

(٤) هو : يزيد بن أبى حبيب ، الإمام الحجة ، مفتى الديار المصرية ، أبو رجاء الأزدى مولاهم =

عشر ألفًا وخمسمائة .

وذكر عبد الرحمن بن سعيد بن مقلاص[١] أن الذين حررت سهامهم فى الحصن من المسلمين اثنى عشر ألفًا وثلثمائة بعد أن أصيب منهم فى الحصارمن القتل والموت .

ويقال أن الذين قتلوا فى هذا الحصار من المسلمين وقفوا فى أصل الحصن ثم سار عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه إلى الإسكندرية فى شهر ربيع الأول سنة عشرين ، وقيل فى جمادى الآخرة منها ، وأمر بفسطاطه أن يهدم فإذا بيمامة قد باضت فى أعلاه فقال لقد تحرمت[٢] بجوارنا أقروا الفسطاط حتى تطير فراخها فأقروه فى موضعه [فسميت مصر الفسطاط] [٣] .

عن ابن قتيبة[٥] والثعالبى أن العرب تقول لكل مدينة جامعة فسطاطًا ولذلك قيل لمصر فسطاطًا.

قال الليث رضى الله تعالى عنه : أقام [عمرو] [٥] فى حصار الإسكندرية وفتحها بعد ستة أشهر ثم نقل إلى الفسطاط فاتخذها دارًا فى ذى القعدة سنة عشرين .

= المصرى ، قيل : كان أبوه سويد مولى امرأة لبنى حسل ، وأمه مولاة لتُجيب ، ولد بعد سنة خمسين فى دولة معاوية ، وهو من صغار التابعين .

قال الليث بن سعد : يزيد بن أبى حبيب سيدنا وعالمنا . توفى سنة ١٢٨ هـ . « سير أعلام النبلاء » (٦/ ٢٧٥) .

(١) لم أقف على ترجمته .

(٢) أى تأكدت الحرمة بيننا وبينها بسبب الجوار ، فلا يصح أن نتنهك جوارها .

(٣) غير واضحة بالأصل ، وهذه منقولة من « الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة » ص (٩٩) .

(٤) هو : العلامة الكبير ، ذو الفنون ، أبو محمد ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى . وقيل : المروزى ، صاحب التصانيف ، نزل بغداد ، وصَنَّفَ وجمع وبَعُدَ صيته ، وقد ولى قضاء الدينور ، وكان رأسًا فى علم لسان العربى ، والأخبار وأيام الناس ، وقال أبو بكر البيهقى : كان يرى رأى الكرابيسى . وقال الذهبى : هذا لم يصح ، توفى سنة ٢٧٦هـ . « سير أعلام النبلاء » (١٠/ ٦٢٥، ٦٢٦)

(٥) ليست فى الأصل وزدناها من « الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة » ص (٩٩) .

قال ابن عبد الحكم[١] ولما فتحها كتب إلى عمر رضى الله تعالى عنه : أما بعد فإنى فتحت مدينة لا أصف ما فيها غير أنى أصبت [بها مدينة يعنى الإسكندرية] [٢] بها أربعة آلاف [أربعة آلاف منية بأربعة آلاف] [٣] حمام وأربعين ألف يهودى عليهم [وضعت][٤] الجزية وأربعمائة ملهى للملوك وقيل أنه وجد فيها اثنى عشر ألف بقالا يبيعون البقل وكان بها من الروم يؤمئذ مائتا ألف من أهل القوة لحقوا بأرض الروم فى المراكب. وكان من بقى ستمائة ألف سوى النساء والصبيان. ولما توجه عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه إلى الإسكندرية فهو عند سوس قام وردان[٥] إلى قضاء حاجته عند الصبح فاختطفه أهل القرية فافتقده عمرو رضى الله تعالى عنه وقفا أثره فوجده فى باطن دورهم فأمر بإخراجها وإخراجهم منها وهى القرية المعروفة اليوم [بجزيرة] [٦] وردان .

هذا ملخص فتوح مصر على سبيل الاختصار لأن قصدنا فى هذا الكتاب أخذ زبد الكلام والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) انظر : « فتوح مصر والمغرب » ص (١٢١) .

(٢) ليست فى شىء من نسخ « فتوح مصر والمغرب » لابن عبد الحكم .

(٣) ليست بالأصل زدناها من « فتوح مصر والمغرب » ص (١٢١) .

(٤) ليست عند ابن عبد الحكم .

(٥) هو : وردان الرومى ، مولى عمرو بن العاص .

(٦) هكذا بالأصل ، والصواب « خربة وردان » كما فى الفضائل الباهرة » ص (١٠٠) .